تحقيقات في اللغة والأدب والعربية*

١

سعد بن ناشب المازني

عز الدين البدوي النجار

بين يدي البحث :

يكاد لايعرف شيء عن سعد بن ناشب بمعزل عن أبياته البائية التي أنشدها أبو تمام في صدر اختياره الملقب بالحماسة .

بل إن شهرة هذه الأبيات غلبت على ماروي له - ومنه في الحماسة نفسها مقطعتان أخريان - حتى أشبه ألا يكون له غيرها من الشعر شيء .

☆ وغير ذلك ، مما لعله يعرض فيما يأخذ المرء فيه من مسالك البحث ، لملابسته في كتب القوم فنون العلم التي ذكرت .

هذا ، ومنهجي فيما أحاوله هنا أنه لامنهج لي فيه ، وإنما أنزع إلى ماأرى أنه أجمع للفائدة ، وأدنى إلى بيان ماأرجو بيانه مماآخذ فيه ؛ فربما صلحت للمطلب الواحد صورة من صور البحث لاتصلح لغيره ، تحكم هذا طبيعة البحث نفسه ، وتملي مايحسن فيه جملة المعاني الملابسة له .

فإن زللت في شيء من ذلك أو قصرت فإنما سبيلي سبيل من تقدمني ممن أتعقب كلامهم في هذه السطور ، ولبابه أن الوهم (أو الغلط) أصل في عمل من يعمل ، وأن توهم البراءة منه المحال ، لايخرج من هذا أحد ، ولاينبغي له ؛ وإنما الصواب غرض يبتدره المشتغلون كافة ، فإن أصاب بعضهم في بعض ذلك ، وتعثر بعضٌ ، لم تكن الإصابة - بالضرورة - امتيازاً ، ولا التعثر هُوْناً وغضاضة .

وعلى أني فيما أتعقب من كلام المحسنين خاصة ، من متقدم منهم أو متأخر ، إنما أرجع إلى ماهو عند المشتغل المنصف من أول حقائقه المبني عليها عمله : أنه بإحسانهم عرف طرق الإحسان ، وبتحقيقهم وجد السبيل إلى تحقيق ماجارت فيه عن القصد الأوهام .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وأنا أذكر ماوقفت عليه من أمر سعد : نسباً وخبراً وشعراً ، لا على جهة الاستقصاء له ، إذ كنت إنما أرمي إلى غرض غيره = أثبته هنا بأسره : تقييداً له ، وتوطئة لما أحاوله من تحقيق ماوقع فيه مما يحتاج إلى تحقيق .

وربما تركت طائفة من ذلك كما جاءت ، لقلة وسائلي في التأدي فيها إلى ماأحب ، ولضيق الزمان عن أن يتسع لأقصى مايرجوه لبحثه باحث متتبع .

وعلى أني أخشى ألا أكون فرداً في ذلك ، وأن يكون بعض ماتوقفت فيه من أمر سعد داخلاً في قطعة ضخمة من التراث ، تحقيق مافيها ممتنع الآن البتة ؛ لضعف المادة المتاحة ، ولقلة غنائها في تخليص مايروم المحقق تخليصه مما يتعرض له ؛ راجياً ـ على ذلك ـ أن يكشف التتبع بأكثر مما فعلت[1] في حدود هذا المتاح نفسه ، عمّا يعين على حلّ مالم يتهيأ لي في مقامي هذا حله .

فأذكر أولاً جملة ماوقفت عليه من أمر سعد مما كان عندي ظاهر الصحة[2] ، ذاهباً فيه مذهب الترجمة ، ومرتباً إياه على عنواناته المألوفة في مثل ذلك ؛ ثم أقفي عليه بذكر جمل مختارة مما وقع فيه من ضروب الوهم ، يمنع استيفاء مالاح لي فيها بأسره ماذكر من العلة آنفاً .

(١)

نسبه :

وهو سعد بن ناشب بن معاذ بن جعدة بن ثابت بن زرارة بن

---

(١) ندت عني أشياء كأني كنت رأيتها لسعد فيما غبر ، ثم أعياني أن أهتدي إلى مواضعها الآن .

(٢) فيما خلا موضعاً يتجاذبه احتمالا الصحة والغلط ، يأتي التنبيه عليه في محله .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ربيعة بن يسار[٣] بن رزام بن مازن .

ذكر هذا ابن حزم في جمهرة أنساب العرب : ٢١٢ ، ولم يذكره من الأخباريين وأصحاب النسب ، ممن وقفت على تصانيفهم ، غيره ؛ إلا ماكان من أبي عبيد البكري في اللآلىء : ٧٩٢ ، فإنه رفع نسبه إلى جد أبيه « جعدة » ولم يتجاوزه ؛ مع شبيه بالإجماع بعد ذلك ، عند جمهور من ذكره ، أنه من مازن بن عمرو بن تميم[٤] ، مجتزئاً أحياناً بنسبته إلى مازن هذا ، فيقال : المازني ، اكتفاء بها ، وحملاً على نظائرها في جمهور مايذكر من نِسَبِ المنسوبين من رجال هذا التراث ونسائه .

وانتساب سعد نفسه في مابقي من شعره إلى رزام بن مازن ـ رهطه الأَدْنَيْن ـ أظهر نغمة من انتسابه إلى مازن ، قال في حماسيّته المشهورة :

فَيَا لَرِزامٍ رشِّحُوا بي مُقَدَّماً إلى الموتِ خَواضاً إليه الكتائبا

وعلى أنه ربما ذكر « مازناً » كما يذكر الرجل القبيل من القوم ، وأنت تعلم أنه إنما يذكر رهطه وقبيله . قال فيما أنشده ابن الشجري في حماسته : ١٦١ :

أتيمَ اللاتِ مابالُ الوحيدِ يُقَعْقِعُ لي التهددَ من بعيدِ
ويُوعِدُ مازناً بكُمُ وأنتمْ مَحَلُّ الذلِّ واللؤمِ التليدِ

(٣) في بعض نسخ الجمهرة أنه « سيار » . (في حاشية المحقق أن هذا في طبعة بروفنسال ، إلا أن تخليص الموضع يفضي إلى ماذكرت . وانظر مقدمة التحقيق : ١٧) .

(٤) التبريزي على الحماسة : ١ / ٣٥ ، الحماسة : (صالح) : ٣٤ (برقم : ١٠) ، (عسيلان) : ١ / ٦٩ (برقم : ١٠ ؛ وفي المرزوقي : ١ / ٦٧ ، والحماسة (كاتب هذه السطور ، برقم : ١١) : من مازن بن عمرو بن تميم ؛ وسقوط الأب فصاعداً من سلاسل النسب عندهم ، ولاسيما في المستفيض المشهور ، ليس بذي بال ، ولايكادون يتوقفون عنده . وفي الخزانة : ٣ / ٤٤٦ (٨ / ١٤٥ هارون) : من بني مالك بن عمرو بن تميم . هذا ، والذي في مطبوع المرزوقي : سعد بن ناشب (بن) مازن ... ومن الواضح أن « بن » هنا تطبيع « من » .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

عصره :

وسعد شاعر إسلامي ، كما قاله البكري في اللآلىء : ٧٩٢ ، وصاحب الحماسة البصرية : ١ / ٥٩ ، وكما يفضي إليه كلام ابن قتيبة في ترجمته في الشعر والشعراء : ٦٩٦ . وعلى أن القول باسلاميته من لوازم ماجاء في خبر أبياته التي على الباء (سأغسل ..) من أنه قالها بعدما كان أصاب دماً فهدم بلال داره[٥] يعنون بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري ؛ وقد قيل إن ذلك كان بأمر الحجاج ، ولايصح ، لما ستراه بعد .

وبلال كان قد تولى شرطة البصرة أولاً سنة تسع ومائة (١٠٩) لخالد بن عبد الله القسري[٦] ، والي العراقين (الكوفة والبصرة) لهشام بن عبد الملك (١٠٥ ـ ١٢٥) ثم كان على قضائها وعلى إمرتها نائباً عن خالد منذ سنة عشر ومائة (١١٠) ، إلى أن عزل خالد سنة عشرين ومائة (١٢٠) بيوسف بن عمر الثقفي ، وعزل معه عماله ، ومنهم بلال[٧] .

ففي عصر هشام كان سعد ، وفي ولاية بلال على البصرة (١١٠ ـ ١٢٠) قال أكثر مابقي لنا من شعره .

وربما دل نَفَسُهُ في شعره عامة ، ثم قوله في فاتحة حماسيته الثانية خاصة ، على أنه كان رجلاً شاباً في عصر هشام . وذلك أنه افتتح هذه الحماسية بالحديث عن تفنيد من اسمها « أم سعد » إياه :

تفنـــدني فيما ترى من شراستي وشدة نفسي أم سعد وماتدري

---

(٥) لم يذكر المرزوقي خبر الأبيات ، وهو في التبريزي والحماسة نفسها في المواضع المتقدمة ، والخزانة : ٨ / ١٤٥ ، والمقاصد النحوية : ١ / ٤٧١ .

(٦) الطبري : ٧ / ٥٣ .

(٧) الطبري : ٧ / ١٤٢ ، ١٥٣ ـ ١٥٤ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وذكر « اللوم » و « العذل » و « التفنيد » وماجرى مجراها من ألفاظ المراجعة والمجاذبة = فاشٍ في أشعارهم كثير ، وهو مصروف عندهم إلى زوج الرجل خاصة ، من أجل أن ماكان من هذا الضرب من المعاني إنما يكون في الأغلب الأعم بين الرجل وزوجه[٨] وعلى أنه ربما صرف إلى غير الزوج : أماً أو أختاً أو غير ذلك .

---

(٨) وأكثرماجاء منه إنما كان في العذل على بذل الرجل ماله ، وعلى تخرقه فيما ملكت يده . قال ضَمْرَةُ بن ضَمْرَةَ النهشلي :

بكَرَتْ تلومُكَ بعدَ وَهْنٍ في الندى بَسْلٌ عليكِ ملامَتي وعتابي

ويدخل في هذا ويجري معه الحض على نقيضه ، من الأخذ في أسباب الثراء ، والدخول في جملة الأغنياء . قال المخبل السعدي :

وتقولُ عاذلتي وليسَ لها بِغَدٍ ولا مابَعْدَهُ عِلْمُ

إنّ الثراءَ هو الخلودُ وإنْ نَ المرءَ يكربُ يومَهُ العُدْمُ

وبين قوله وقول سعد نوع نسب ، لقوله في عاذلته : « وليس لها علم » ، كما قال سعد : « وماتدري » .

ومن طريف ذلك أن يؤثر الرجل باللبن فرسه ، دون نفسه وأهل بيته ، فتلومه لائمته عليه . قال الأعرج المعني الطائي ، وذكر فرسه « الورد » :

تلومُ على أنْ أمنحَ الوَرْدَ لِقْحَةً وماتستوي والوَرْدَ ساعةَ تَفْزَعُ

فكشف المعنى ، وأبان عن وجه العلة في إقدام العرب على فعل ذلك .

وهذا ـ أعني ماتقدم كله ، وماجرى مجراه ـ كثير جداً ، أكثر من أن يحصى ؛ وعلى أنه ربما جاء عنهم ماهو من صريح شفق المرأة على زوجها ، ومن أشهره قول عنترة :

بَكَرَتْ تخوفُني الحُتُوفَ كأنني أصبحتُ عن غَرَضِ الحُتُوفِ بمَعْزِلِ

الأبيات . وقوله فيها : « فاقْنَي حياءك لاأبالك ... » من أبعد شيء أن يخاطب به ولد والدة .

ومنه قول عروة بن الورد ، يقوله لامرأته :

أرى أمَّ حسانَ الغداةَ تلومُني تخوفُني الأعداءَ والنفسُ أخْوَفُ

وهذا أيضاً كثير مستفيض ، وإنما الغرض التدليل على إمكان أن يكون بيت سعد في زوجه وأمه جميعاً .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فإن صح هذا في بيت سعد ، وكانت « أم سعد » زوجه ، سمى ولده منها باسم نفسه[٩] = فإن القول بشبابه وفَتَاءِ سنه مُتَوَجِّهٌ على ماكنا ذكرناه أولاً ، من دلالة نَفَسِهِ في شعره ، ودلالة جملة معانيه على مثل ذلك ؛ وإلا فإن « أم سعد » هي أمه التي ولدته ، وهي البَرَّةُ به والحانيةُ عليه لمعنًى أكثر من معنى الشراسة ، كما سنومئ إليه بعد يسير . وهذا إن صح ، وصحته قريبة متبادرة ، أقوى في الدلالة على معنى الفَتَاءِ وأوكَد[١٠] ؛ وهو أيضاً - في هذا المعنى - من طريف مانطقت به الأشعار .

بعض أحوال سعد :

كان سعد ماضيَ النفس مضاءً خرج به إلى الفتك ، حتى عَدَّه ابن حزم من « فتاك بني تميم بالبصرة »[١١] وحتى كان عند ابن قتيبة من

---

(٩) وهذا في أسمائهم مستعمل موجود ، بل إنك ربما وجدت الاسم الواحد لثلاثة آباء في نسق .

وههنا أيضاً احتمال ، على بُعْدٍ فيه : أن تكون « أم سعد » كنية لزوج سعد ، كانت تكتني بها من لدن كانت في كَنَفِ أهلها ، فوافق شيء شيئاً ، وطابقت كنيتها اسم زوجها . وقد كانت العرب تفعل ذلك ، تكني بناتها بالكنى ، في مَيْعَةِ السن ، وعلى غضارة الصبا . قال شاعرهم :

أبى القَلْبُ إلاَّ حُبَّهـا عـامريـةً ... لهـا كُنْيَـةٌ عَمْرُوٌ وليسَ لهـا عَمْرُو

(١٠) لأنها إن كانت أمه كانت أقرب إلى أن تخاطبه شاباً بمثل ماكانت قريبة عهد بمخاطبته به طفلاً ويَفَعَةً ؛ وعلى أن هذا ، من هذه الجهة ، ليس بقاطع .

(١١) ونحو هذا في كامل المبرد : ١ / ٢٠٦ (٢٦٨ - ٢٦٩ الرسالة) ، قال أبو العباس : « فأما الإقدام على الغرر ، وركوب الأمر على الخطر ، فليس بمحمود عند ذوي الألباب ، وقد يتحسن بمثله الفتاك ، كما قال : « عليكم بداري ... إذاهم ... ولم يستشر ... » ، فهذا شأن الفتاك » .

وأصرح من هذا ماوقع في إحدى نسخ الكامل (نسخة غوطا) : « وقد يتحسن الفتاك بمثل هذا ، كما قال واحد منهم ..» .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

« مَرَدة العرب » ، وكذلك قال الحصري في زهر الآداب ، وزاد عليه : « وشياطين الإنس » .

وبفضل مضاء نفسه وشدة إقدامه قال بيته السائر ، الذي هو بيت القصيد في شعره ، والذي هو من نجوم الشعر كله :

إذا هَمَّ ألقى بين عينيه عزمَهُ ونَكَّبَ عَنْ ذِكْرِ العواقبِ جانبا

وبلغ من استيلاء هذا المعنى عليه أنه أعاد صدر بيته هذا بحروفه في حماسيته الأخرى :

إذا هَمَّ ألقى بين عينيه عزمَهُ وصَمَّمَ تصميمَ السُّرَيْجِيِّ ذي الأُثْرِ

والشراسة عنده رأي يتقلده ، ومذهب في الحياة يحتج له ، فهو يأتي مايأتي من ذاك على بصيرة من أمره :

وفي اللينِ ضعفٌ والشراسة هيبةٌ ومن لايُهَبْ يُحْمَلْ على مَرْكبٍ وَعْرِ

إلا أن هذا من حال سعد كان جديراً ألا يميز سعداً عند من يعرف أن له فيه نظراء ، وأنه كان ـ لولا شعره الذي قيد فيه صفة نفسه ـ كبعض من كانت تحفل بهم تلك الفترة من أصناف « المنشقين عن المجتمع » و « الخارجين على القانون » .

أو كسائر من كانوا لايزالون على إرث من فردية العرب في جاهليتهم العارمة ، قبل أن يستوعبهم المجتمع بعد يسير في دولة بني العباس[١٢] ؛

= وقد سمي هذا « الواحد » في زيادات طبعة رايت : « هو سعد بن ناشب المازني عن الرياشي وغيره » .

(١٢) هذا على التغليب ، وفي أكثر الأمر ؛ وإلا فإن أقباساً من هذا بقيت دهراً طويلاً بعد ذلك .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وكان عند دارسه بهذا الاعتبار المتقدم « نموذجاً إنسانياً »[١٣] وراءه من أفراد نوعه مالا يتعلق الخاطر بتمييزه وَعَدِّهِ ، إذ كان مما يفوت العد ، ومالا يبلغه الإحصاء = لولا بيت أنشده الجاحظ في الحيوان : ٦ / ٢٤٣ ، لدعلج بن الحكم فيمن اسمه كعب بن ناشب :

وكيف يفيق الدهر كعب بن ناشب وشيطانه عند الأهلة يصرع

وذلك أن ابن قتيبة أنشد البيت في ترجمة سعد في الشعراء : ٦٩٦ ، وذهب في تسمية من قيل فيه مذهباً آخر .قال : « وكان سعد أيضاً من مردة العرب ، وفيه يقول الشاعر ، أو في كعب بن ناشب .. » .

وتابعه الحصري في زهر الآداب : ٢١٣ ، إلا أنه أسقط القول باحتمال أنه في غير سعد ، وذهب إلى أنه في سعد البتة[١٤] . قال : « وكان سعد

---

(١٣) هو نموذج « العصبي » « ذي المزاج الحاد » ، وهو أحد النماذج الأساسية التي ردت إليها جملة الطبائع الإنسانية ، وهو الذي كان يقال له في الكتب العربية : « الغضبي » .

(١٤) وعلى أن هذا من كلام الحصري إنما هو بالقياس إلى مافي مطبوع « الشعراء » في طبعته السائرة (طبعة دار المعارف) المبنية أساساً على طبعة دي غوية ؛ وإلا فإن في نسخ الكتاب مايوافق ماعند الحصري من إسقاط القول باحتمال أن يكون البيت في كعب بن ناشب ، كالذي تجده في طبعة القسطنطينية : ١٦٣ ، وكالذي تجده في حكاية البغدادي كلام ابن قتيبة في الخزانة : ٣ / ٤٤٦ (٨ / ١٤٥ هارون) . وانظر طبعة دي غوية : ٤٣٨ ، والحاشية : 2fE .

هذا ، ويحيك في النفس أن عبارة : « أو في كعب بن ناشب » مزيدة على أصل « الشعراء » ، وأن الذي عند ابن قتيبة أن البيت في سعد بن ناشب ، ليس غير .

فإن صح هذا ـ ولنا في تصحيحه أشياء نضرب عنها الآن صفحاً ـ كان مافي مطبوع « الشعراء » وهماً آخر كسائر الأوهام التي أدرنا الكلام هنا لتحقيق القول فيها ، ونفي مالابسها من الغلط حيناً من الدهر .

(ولابأس هنا في تقييد أن ابن قتيبة أنشد البيت في عيون الأخبار : ٢ / ٤٧ ، غفلاً غير منسوب ، وفي « كعب بن ناشب » لا في « سعد بن ناشب » . والبيت على ماجاء في = المطبوع :

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

من مردة العرب وشياطين الإنس ، وفيه يقول الشاعر ... » .

قلت :

فإن صح أن البيت في سعد - والمرء من صحة ذلك على حذر شديد - وتولاه قارىء مُغْرًى بملاحظة مايعتور الإنسان في حالي الصحة والمرض ، أو ماشارف ذلك وداناه ، وأشبهه في ظواهره وعوارضه = أخرج له ذلك وجهاً في تأويل ماقاله في شعره ، وماقيل فيه ، لعله يخرج به من أن يكون في معاني الجراءة والفتك « نموذجاً » ، إلى أن يكون من الناحية « المَرَضِيَّةِ » « حالة » متعينة مفردة .

وإلا يكن ذلك ، وثبت أن البيت على ماقاله الجاحظ ، فالذي في الشعراء وزهر الآداب وهم إذن كسائر الأوهام التي كتبت هذه الكلمة ابتداء لبيانها ، مما ستراه بعد إن شاء الله .

وبيان مايلوح لي من مغزى أن يكون البيت في سعد ، أن البيت نص على « حالة مَرَضِيَّةٍ » بعينها ، تعتري أصحابها في أوان معلوم . قال الجاحظ في الحيوان : ٥ / ٤٧٩ : « وأوان الصرع الأهلة وأنصاف الشهور ، وهذان الوقتان هما وقت مد البحر وزيادة الماء . ولزيادة القمر إلى أن يصير بدراً أثر بين في زيادة الدماء والأدمغة ، وزيادة جميع الرطوبات »[١٥] .

= وكيف يُفِيقُ الدّهرَ كعبُ بنُ ناشبٍ وشيطانُهُ بين الأهلّةِ يُصْرَعُ)

(١٥) وإنما نقلت من كلام المتقدمين مايوافق ألفاظ البيت ، وماهو كالشرح والبيان له ، ولاسيما الجاحظ ، فإن الأمر من عنده نجم = وإلا فإن لهم كلاماً آخر على قانون الطب ومذاهبه ؛ وانظر : الذخيرة في علم الطب : ٣٢ ، والقانون في الطب : ٢ / ٧٦ ، وقاموس الأطباء : ١ / ٢٥٩ ؛ **وعلى أن للذي ذكره الجاحظ وجهاً يصلح لتأمله ، ويرجع به كلامه إلى** نحو مما في كتب الطب التي ذكرت .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ونحن وإن لم نذهب هذا المذهب في سعد ، لقرائن بأعيانها في شعره وخبره ، ولأخذنا في الحسبان قدراً من المبالغة يسهل أن يعرض مثله في مثل هذا الضرب من الشعر = نرى أن البيت يومئ إلى معنىً ، تسهل إضافته إلى سعد وإلى غير سعد ، من ذوي الأمزجة العصبية البالغة الحدة ، التي يسهل اهتياجها لأدنى شيء ، والتي هي ، بإفراطها على أصحابها ، في برزخ بين الصحة والمرض .

ونرى أنه - في أقصى أحواله - يومئ إلى أن حدة مفرطة كانت تلابس خلائق سعد ، هي على الحقيقة من وراء « تمرده » و « فتكه » ، ميزها معاصروه مما كان عسى أن يشاكلها من طبائع نظرائه من ذوي الأمزجة العصبية ، إلى الحد الذي زعموها فيه حالاً من أحوال المرض الذي لاترجى الإفاقة منه .

ومثل هذا - إن صح - من أقرب شيء إلى أن تتولّه والدة بسببه على ولد ، وأن تذهب نفسها عليه ، وأن تكون أبداً موزعة الفكر من خوف حادث يلم به ، ثم لايكون إلا هذا من وراء تفنيدها إياه ، وإنحائها باللامة عليه .

وعلى أنه لايتغير من جوهر هذا المعنى كبير شيء ، حتى لو صرف بيت دعلج بن الحكم إلى أنه في « كعب بن ناشب » لا في « سعد بن ناشب » كما جاء في « الحيوان » ؛ إذ كان لسعد من شراسة النفس وشدتها وعُرامها مايفي بمثل ماأسلفت بيانه ، لرجوعه من قلب الوالدة في الحالين جميعاً إلى مايكون معه أصغر شيء من أمر ولدها عندها كأكبر شيء ، قياساً مطرداً عندها لايتخلف ، وحكماً نافذاً لايتراجع ولايخيس[١٦] .

(١٦) وههنا بعد احتمال أخير : أن يكون « كعب بن ناشب » أخا « سعد بن =

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

شعره :

وقفت لسعد على قوافٍ ست ، من غير استقصاء مني لذلك كما تقدم ، استقلت حماسة أبي تمام وحدها بثلاث منها . وعسى أن يكشف التتبع فيما طبع ، والنظر فيما يستقبل ، فيما لم يطبع ، عن قوافٍ أخر ، فههنا من القرائن ماتطمئن معه النفس إلى أن الأمر في شعر سعد[١٧] ينبغي أن يكون كذلك .

وأنا أثبت نصوص ماوقفت عليه من ذلك ، على قرب متناوله لمن أراده ، توفية للفائدة فيما أخذت نفسي به ، وتقريباً لأمر سعد لمن احتاج إليه قريباً مجتمع الأطراف .

١ ـ أشهر شعر سعد أبياته التي أنشدها أبو تمام في أوائل الحماسة ، والتي هي من فاخر الشعر ومحكمه وبليغه .

وقد كان من سببها ماجاء في التبريزي[١٨] : ١ / ٣٥ ، باختصار : « وكان أصاب دماً فهدم بلال داره » .

وأبين منه ماقاله ابن حزم في جمهرة أنساب العرب : ٢١٢ ـ ٢١٣ : « .. كان من فتاك بني تميم بالبصرة . وهو القائل :

= ناشب » ، فإن صح هذا فأنت في تأويل الموضع في مثل ماشرعت فيه أول مرة ، وهو أن الأمر في « طبيعة سعد » ليس على المألوف المعتاد في طبائع الناس ، وأنه في خروجه على هذا « المألوف » إنما يرجع إلى « طبيعة موروثة » ، يدل عليها هذا البيت الذي قيل في كعب أخيه (؟) .

(١٧) وفي غير شعر سعد ، كما لايزال يكشف عنه مايطبع من تراث العربية ، ويتبين به أن في المروي من الشعر ماأخلت به دواوين من تهيأت لأشعارهم صنعات صنعها أئمة ، فضلاً عمن وراءهم ممن لم يتح لهم مثل ذلك .

(١٨) ومثله في الحماسة في المواضع التي تقدمت في الحاشية (٤) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

عَليكُمْ بداري فاهدمُوها فإنَّها تراثُ كريمٍ لايخافُ العواقبا

الأبيات . وكان بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري قد هدم داره بالبصرة » .

فعين بلالاً من هو ، وذكر أن ذلك كان بالبصرة .

وأبسط من هذين ، وأكثر تفصيلاً وفوائد . ماساقه أبو عبيد البكري في اللآلىء : ٧٩٤ ، بياناً لما كان من سبب قول سعد ماقاله . قال أبو عبيد :

« كان سعد شديداً مهيباً ، وقع بينه وبين رجل من أهل البصرة شر ، فضربه بالسيف وهرب ، وقال :

لاتوعدنّي بالأميرِ فإنّني إذا ماجعلتُ المِصْرَ خَلْفيْ أميرُ[١٩]

---

(١٩) في مطبوع اللآلئ : خَلْفِيَ أَمِيْرُ ، وكتب الشيخ الميمني رحمه الله في حاشيته على الموضع : « بنقل حركة الهمزة إلى الياء ، أو : (خَلْفِ أَمِيْرُ) بالاكتفاء ، والأصل غير واضح » .

قلت : أثبتُّ في ضبط الموضع مايقوم به الوزن ، مما لايخالف رسماً من رسوم الصناعة ، ولايحوج إلى نوع تغيير ، وهو مجيء البيت هنا على الضرب الثالث المحذوف من الطويل ، وصورته فعولن مفاعيلن فعولن فعولن ؛ وإنما صار الشيخ إلى مايعول عليه الحذاق في هذا الفن ، من ردهم مواضع منه إلى مايقضي به اللسان ، في تصرفه في المنطق ، وفي أدائه لما يعالجه من وجوه الأداء ، وفي دور الحكم على حسب مايعرض من ذلك : سهولة ومطاوعة وانقياداً ، أو مشقة وعسراً . وأنت إذا قرأت البيت بلسانك لا بعينيك لم تجده يحسن إلا بمثل ماقترحه رحمه الله .

وقد قال الدماميني في العيون الغامزة : ١٤١ ، منبهاً على أشياء من لازم العلم بالطويل : « قبض « فعولن » قبل الضرب الثالث المحذوف أولى من سلامته ، ويسمى اعتماداً كما سبق ، وبيته :

وماكلٌّ ذي لُبٍّ بموتيكَ نُصْحَهُ وماكلٌّ مؤتٍ نُصْحَهُ بلبيبِ

فقوله : « حَهُوبِ » وزنه : « فعولُ » ، وإنما كان الاعتماد في هذا المحل أولى لأن الطويل =

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وإني على الأمر المهيبِ إذا الفتى ثَنَى هَمَّه عما يريدُ جَسُورُ

فأمر الأمير بهدم داره فهدمت ، فقال الشعر » .

وفي الخزانة : ٣ / ٤٤٣ (٨ / ١٤١ هارون) نقلان آخران ، ينحوان بالموضع نحواً آخر : تأريخاً للشعر ، وبياناً لسبب قوله . قال البغدادي :

« قال شراح الحماسة : سبب هذه الأبيات أنه كان أصاب دماً فهدم بلال بن أبي بردة داره بالبصرة وحرقها ، وقيل إن الحجاج هو الذي هدم داره .

وقال ابن هشام في شرح الشواهد : ويقال إنه قتل له حميم ، وإنه أوعده بهدم داره إن طالب بثأره »

ونحو هذا عند العيني في المقاصد النحوية : ١ / ٤٧١ :

« وكان أصاب دماً فهدم بلال داره ، ويقال إن الحجاج هو الذي هدم داره بالبصرة وحرقها » .

والأبيات تسعة في حماسة أبي تمام كما قال البغدادي في الخزانة : ٤ / ٤٤٣ (٨ / ١٤١ هارون) ، وهي كذلك في جمهور نسخ الحماسة إلا

= مبني على اختلاف الأجزاء ، لتركبه من خماسي وسباعي ، فلما صار آخر البيت محذوف الضرب هكذا : « فعولن فعولن » أرادوا أن يوفوه حقه من الاختلاف الذي بني عليه في الأصل ، فقبضوا « فعولن » الأولى » .

فأثبت أصل المسألة كما تراه ، إلا أنه ذهب في العبارة عن توجيهها مذهباً آخر ، وإنما المصير هنا إلى ماقدمت بيانه ، من دوران الأمر في ذلك مع الحس ، ومع مايجري به عند الإنشاد اللسان .

وبعد ، فههنا مبحث ، إذا أرعاه المرء باله ، وأولاه من النظر حقه ، حسنت عنده ـ لأجله ـ مراجعة الأصول ، وساغ معه ـ كما صنعت ـ إثبات البيت على الصورة التي يقضي بها موضعه الأول من العروض ؛ لعله تستقل به ، مع نظائر له ، كلمة من بابة ماعقدت لتحقيق القول فيه هذه الفصول .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

في النسخة التي اتخذها الدكتور عبد الله عسيلان أصلاً في إخراج نشرته منها ، فإنها قد انفردت بزيادة بيتين وقعا فيها أخيرين .

والبيتان الزائدان أنشدهما ابن هشام في « شرح الشواهد » فيما حكاه البغدادي في الخزانة : ٣ / ٤٤٦ (٨ / ١٤٥ هارون) ، وأنشدهما العيني في المقاصد النحوية : ١ / ٤٧٢ . ثم هي تسعة في كل ماأنشدت فيه تامة من كتب الاختيار والأدب[٢٠] .

قال سعد ، وأنا أثبت هنا رواية البغدادي في الخزانة :

سأغسلُ عني العارَ بالسيفِ جالباً ... عليَّ قضاءُ اللهِ ماكانَ جالبا

وأَذْهَلُ عن داري وأجعلُ هَدْمَها ... لِعِرْضِيَ مِنْ باقي المَذَمَّةِ حاجبا

ويَصْغُرُ في عينيْ تِلادي إذا انثنتْ ... يميني بإدراكِ الذي كنتُ طالبا

فإنْ تَهْدِمُوا بالغَدْرِ داريْ فإنَّها ... تراثُ كريمٍ لايُبَالي العواقبا

أخو غَمَراتٍ لايريدُ على الذي ... يَهُمُّ به من مُفْظِعِ الأمرِ صاحبا

إذا هَمَّ لم تردع عزيمةُ هَمِّهِ ... ولم يأتِ مايأتي من الأمر هائبا

فَيَالَرِزامٍ رشحُوا بي مُقَدَّماً ... إلى الموتِ خواضاً إليه الكرائبا

إذا هَمَّ ألقى بين عَيْنَيهِ عَزْمَهُ ... ونَكَّبَ عَنْ ذكرِ العواقِبِ جانبا

ولم يَسْتَشِرْ في أمرِهِ غَيْرَ نَفْسِهِ ... ولَمْ يَرْضَ إلا قائمَ السيفِ صاحبا

فلا توعِدَنِّي بالأميرِ فإنَّ لي ... جَنَاناً لأكنافِ المخاوفِ راكبا

وقلباً أبياً لايُرَوَّعُ جأشُهُ ... إذا الشرُّ أبدي بالنهارِ كواكبا

---

(٢٠) الأبيات في الحماسة في المواضع التي تقدمت في الحاشية (٤) ، وبيت منها فصاعداً في عيون الأخبار : ١ / ١٨٧ ، والكامل : ١ / ٢٠٦ (٢٦٨ الرسالة) والعقد الفريد : ٣ / ١٤ ، وأمالي القالي : ٢ / ١٧٥ ، واللآلئ : ٧٩٤ ، وفصل المقال : ١٧٤ ، وبهجة المجالس : ١ / ٤٥٧ ، ودلائل الإعجاز : ٢٢٠ ، والمختار من شعر بشار : ١٠١ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

٢ ـ ويلحق بأبياته هذه بيتاه اللذان أنشدهما البكري في اللآلئ : ٧٩٤ ، وكانا عنده من سبب أن هدم الأمير دار سعد :

لاتُوعِدَنِّي بالأميرِ فإنَّني ... إذا ماجعلتُ المِصْرَ خَلْفِي أمير[٢١]

وإني على الأمرِ المَهيبِ إذا الفَتى ... ثنى هَمَّهُ عما يريدُ جسورُ

٣ ـ ويلحق بها أيضاً إحدى مقطعتيه الأخريين في الحماسة[٢٢] ، أقدم : إنشادها هنا ـ وقد جاءت متأخرة عند أبي تمام ـ لتعلقها بماكنا فيه ، من جهة تعلقها ببلال :

لاتُوعِدَنَّا يابلالُ فإنَّنا ... وإنْ نحنُ لم نَشْقُقْ عَصَا الدينِ أحرارُ

وإنَّ لنا إمَّا خَشِيناكَ مذهباً ... إلى حيثُ لانخشاكَ والدهرُ أطوارُ

فلا تحمِلَنَّا بعد سمعٍ وطاعةٍ ... على غايةٍ فيها الشقاقُ أو العارُ

فإنا إذا ماالحربُ ألقتْ قناعَها ... بها حينَ يجفوها بنوها لأبرارُ

ولسنا بمحتلينَ دارَ هَضِيمَةٍ ... مَخَافَةَ موت إنْ بنَا نبَتِ الدارُ

٤ ـ وشبيه بأبيات سعد الأولى التي على الباء ، في دلالتها على خلائق سعد في المضاء والشدة والإقدام ، أبياته التي أنشدها أبو تمام أيضاً في الحماسة[٢٣] . وهي ـ أو أبيات منها ـ عند غير واحد ممن جاء بعد أبي تمام[٢٤] :

تُفَنِّدُني فيما تَرَى من شراسَتي ... وشِدَّةِ نفسي أمُّ سعدٍ وماتدري

فقلتُ لها إن الحليمَ وإنْ حَلاَ ... لَيُلْفَى على حالٍ أمَرَّ مِنَ الصبرِ

---

(٢١) تقدم الكلام على الموضع في الحاشيه (١٩)

(٢٢) المرزوقي : ٦٦٧ (برقم : ٢٢٢) ، التبريزي : ٢ / ١٠٦ ، الحماسة (صالح) ١١٨٨ (برقم : ٢٢٤) ، (عسيلان) : ١ / ٣٣٤ (برقم : ٢٢٥) .

(٢٣) المرزوقي : ٦٦٤ (برقم : ٢٢١) ، التبريزي : ٢ / ١٠٥ . الحماسة : (صالح) : ١٨٧ (برقم : ٢٢٣) ، (عسيلان) : ١ / ٣٣٣ (برقم : ٢٢٤) .

(٢٤) أمالي القالي : ٢ / ١٧٤ ، جمهرة الأمثال : ١ / ٧٣ ، نظام الغريب : ٤٥ ،

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وفي اللينِ ضَعْفٌ والشراسةَ هيبةٌ ومَنْ لا يُهَبْ يُحْمَلْ على مركبٍ وَعْرِ
ومابي على من لانَ لي من فَظَاظةٍ ولكنني فَظٌّ أبيٌّ على القَسْرِ
أُقِيمُ صَغَا ذي المَيْلِ حتى أَرُدَّهُ وأُخْطِمُهُ حتى يعودَ إلى القَدْرِ
فإنّ تعذليني تعذلي بي مُرَزَّءاً كريمَ نَثَا الإعسارِ مشتركَ اليُسْرَ
إذا هَمَّ ألقى بينَ عَيْنَيهِ عزمَهُ وصَمَّمَ تصميمَ السُّرَيْجيِّ ذي الأَثْرِ

٥ ـ ومن شعره الذي كان ينطق فيه بلسان قومه بيتان أنشدهما له أبو هلال العسكري في ديوان المعاني : ٢ / ٥١ . قال أبو هلال :

ومن أحسن ماقيل في الضرب قول الحماني[٢٥] :

وإنا لتصبحُ أسيافُنا إذا ما انتضينَ ليومِ سفوكِ
منابرُهُنَّ بطونُ الأكفّ وأغمادُهُنَّ رؤوسُ الملوكِ

أخذه من قول سعيد[٢٦] بن ناشب :

فإنَّ أسيافَنا بيضٌ مُهَنَّدَةٌ عُتُقٌ وآثارُها في هامِكُمْ جُدُدُ
وإنْ هَوِيْتُمْ سَللناها فما غُمِدَتْ إلا وهامُ بني بكرٍ لها غُمُدُ

٦ ـ ومنه أيضاً بيتان أنشدهما أبو السعادات بن الشجري في حماسته : ١٦١ :

أَتَيْمَ اللاتِ مابالُ الوَحِيْدِ يُقَعْقِعُ لي التَّهَدُّدَ مِنْ بعيدِ
ويُوعِدُ مازناً بِكُمَ وأنتمْ مَحَلُّ الذلِّ واللؤمِ التليدِ

وأنت ترى أن شعر سعد في نماذجه الستة هذه دائر في فلك العصبية[٢٧]

---

(٢٥) علي بن محمد ، وحِمّان حي من تميم . وبيتاه هذان في الحماسة : ١ / ١٤٧ (التبريزي) .

(٢٦) أثبته على مافي المطبوع ، وسيأتي الكلام عليه .

(٢٧) اضطر المقام في هذه السطور إلى استعمال لفظ « العصبية » بمعنييه : القديم ، الذي هو الحَمِيّة ، والمحدث الطارئ ، المستعمل معه اللفظ مصطلحاً نفسياً دارجاً .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

غير خارج عنها : العصبية المفرطة لنفسه ، الخارجة إلى حد التمرد والفتك، والعصبية لقومه؛ على ماقد يبدو في ذلك من التعارض لأول وهلة.

☆ ☆ ☆

(٢)
أوهام

وفي خبر سعد وشعره بعد ذلك ضروب من الغلط أو الوهم ، يحمل على مثلها مالايزال يعرض للمرء من ذهول الفكر وتبدده وكلاله ، أو من تراجع المعرفة عن أن تحيط بما يحوج المقام إليه ؛ وليس في هذا من العيب إلا تركه حيث هو ، بعد المعرفة بوجه العيب فيه .

١ ـ فأول ذلك ماوقع تصحيفاً أو تحريفاً في اسم سعد واسم أبيه ، وقد رأيت أن اسمه وقع في مطبوع ديوان المعاني : سعيد بن ناشب ، مع إطباق القوم على أنه « سعد » لا « سعيد » ، ومع قوله في بيت الحماسة : « تفندني ... أم سعد » على ماتقدم من القول فيه .

وأغرب منه وأطرف ماوقع في بهجة المجالس : ١ / ٤٥٧ ، وذلك أن ابن عبد البر أنشد البيتين (٨ ـ ٩) من بائية سعد ، لمن اسمه في المطبوع : سعيد بن ثابت العنبري الأعرابي .

والمرء على يقين أو يكاد من أنه ليس في الأرض من اسمه « سعيد بن ثابت العنبري » يكون قال هذين البيتين ، وأن « سعيد بن ثابت » إنما هي تحريف وتصحيف لـ « سعد بن ناشب » ؛ وأما « العنبري » فسترى مافيها بعد .

ويجري مع هذا أيضاً ماوقع في حاشية عيون الأخبار : ١ / ١٨٧ ، وذلك

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أن ابن قتيبة أنشد شعر سعد الذي على الباء (سأغسل ...) غفلاً غير منسوب ، قال : وقال الشاعر ؛ فحين ذهب محقق الكتاب يسميه قال : هو سعد بن ناشد[٢٨] المازني .

وعلى أن مثل هذا إلى أن يكون غلط طباعة أقرب ، أو سبق قلم لم يتح له من يقومه ، لا من محقق الكتاب ، ولا ممن لعله وقف على تصحيحه[٢٩] .

٢ ـ وأجل من هذا خطراً ، وهو أبعد في الوهم منزعاً ، ماجاء عند ابن قتيبة في الشعر والشعراء : ٦٩٦ . قال :

« هو من بني العنبر . وكان أبوه ناشب أعور . وكان من شياطين العرب . وله يوم الوقيط ، وهو يوم كان في الإسلام بين تميم وبكر بن وائل ، له ذكر » .

قلت : والذي قاله ابن قتيبة في نسبة سعد وفي صفة أبيه حكاه عنه البكري في اللآلئ : ٧٩٢ ، والبغدادي في الخزانة : ٣ / ٤٤٦ (٨ / ١٤٥ هارون) ، بعقب ماذكراه ـ كل بعبارته[٣٠](؟) ـ من أنه من مازن .

وحكاه أيضاً ـ أو بعضه ـ من المحدثين أعلام أجلاء ، وطائفة ممن

---

(٢٨) ناشد ، بالدال .

(٢٩) وإنما هذا لأن اسم سعد هكذا وقع أيضاً في فهارس الكتاب : سعد بن ناشد .

(٣٠) عبارة البكري : « هو سعد بن ناشب بن معاذ بن جعدة المازني » ، وفي الخزانة : ٨ / ١٤٥ : « هو من بني مالك بن عمرو بن تميم » ، هذا في المطبوع ، وقال محققه رحمه الله : « في النسختين : مالك بن مالك ، تحريف » .

قلت : ويغلب على ظني أن « مالكاً » الأولى في إحدى نسختي الخزانة تحريف « مازن » ، وأن كاتب الموضع أراد أن يكتب « مازن بن مالك » فسها فكتب « مالك بن مالك » .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

جاء بعدهم من فضلاء الدارسين ، في « الحماسة » أو في غيرها من كتب الأدب والاختيار ، فسكتوا عنه حين ذكر ، أو حكوه ولم يتعقبه منهم أحد[٣١] .

قلت :

● أما أنه من « العنبر »[٣٢] فهذا خلاف مايشبه الإجماع من الشراح والنسابين وأصحاب الأخبار[٣٣] على أنه من مازن بن مالك بن عمرو بن تميم[٣٤] ، وقصارى من اتسع منهم في الكلام على نسبه ـ كالبكري والبغدادي ـ أن يحكي كلام ابن قتيبة المتقدم ، بعد أن يكون قد أثبت نسبه في مازن .

ومن قال منهم « العنبري »[٣٥] يازاء قول آخرين : « المازني » فإنما يقوله في أكبر الظن متابعاً ماعند ابن قتيبة[٣٦] أو من تابع ماعند ابن

---

(٣١) من أكابر من وقف عليه ولم يتعقبه الشيخ عبد العزيز الميمني الراجكوتي في « السمط » والشيخ أحمد محمد شاكر في « الشعراء » والأستاذ عبد السلام هارون في « الخزانة » ؛ وحسبك بهم رحمهم الله ضخامة علم وثقوب فهم . وإنما هذا منهم كما قال شيخنا العلامة الجليل محمود محمد شاكر حفظه الله : « ليكون للنقص في كل عمل موضع » ، وليشغل نفسه بتصحيحه من كان من بحورهم يغترف ، وعلى مثل تحقيقهم يُعَوّل .

(٣٢) والعنبر بن عمرو بن تميم ، أخو مالك بن عمرو بن تميم .

(٣٣) حتى لو كان بعضهم يحكي ذلك عن بعض ؛ إذ كان لو وجد شيئا غيره يعول عليه لحكاه .

(٣٤) على اختلاف العبارة عن ذلك كما رأيت .

(٣٥) كابن عبد البر في بهجة المجالس : ١ / ٤٥٧ ، والحصري في جمع الجواهر : ٩٧ (مصحفاً إلى : الغنوي) .

(٣٦) في الشعر والشعراء .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

قتيبة[٣٧] أما أنه يقوله واحد ممن يعتد بكلامهم من المحصلين الأثبات فلا .

وآية هذا وفصله ومقطع القول فيه أن سعد بن ناشب نفسه ذكر نسبه في شعره ، وحسم مادة الخلاف فيه ، حين قال في بائيته المشهورة ، وهي التي قال أكثر المتقدمين ماقالوه في نسب سعد في سياق الكلام عليها :

فيالرزامٍ رشّحوا بي مُقَدِّماً إلى الموتِ خَوّاضاً إليه الكرائبا

فذكر « رزاماً » رهطه الأدنين أوكَدَ ذِكْر . و « ورِزَام » هو ابن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم ، كما رأيت فيما تقدم من نسب سعد .

ثم ارتفع شيئاً فذكر « مازناً » في شعره الذي أنشده ابن الشجري في حماسته :

ويوعد مازناً بكُمُ وأنتمْ محلُّ الذلِّ واللؤمِ التليدِ

هذا هو الثبت في نسب سعد ، ولايحتمل المقام غيره ، والذي عند ابن قتيبة توهم محض ، رَشَّحَ له ماسبق إلى خاطره من أن « ناشباً » الأعور هو أبو « سعد » ، وذاك من العنبر بن تميم كما سيأتي ، بلا خلاف فيه .

هذا ، ومن فروع القول بـ « عنبرية » سعد ، ماجاء عند الحصري في جمع الجواهر : ٩٧ ، حين أنشد أبياتاً من الحماسية التي على الباء ، قال : « وقال سعد بن ناشب الغنوي » ؛ فإن « الغنوي » هنا تصحيف[٣٨] لاشك فيه لـ « العنبري » . وقد رأيت أن الحصري في « زهر الآداب »

---

(٣٧) أحد من ينبغي أن يكونوا وقفوا على ماعند ابن قتيبة بأنفسهم وتابعوه عليه ابن عبد البر الأندلسي ، لوقوع كتب ابن قتيبة إلى الأندلس رواية ، وللعناية بها ثمة .

(٣٨) أو تطبيع ، على بعد في ذلك .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

متابع في أمر سعد مافي « الشعراء » ، والذي في « الشعراء » أنه من « العنبر » كما تقدم .

● وأما قوله : « وكان أبوه ناشب أعور ، وكان من شياطين العرب ، وله يوم الوقيط » ، فهذا من جليل التوهم ، وعلى أنه ممن حكى كلام ابن قتيبة ، كالبغدادي في الخزانة ، أشد منه من ابن قتيبة نفسه .

● أما وهم ابن قتيبة ، فلأنه لم يخالف أحد في أن صاحب يوم الوقيط[٣٩] هو ناشب بن بشامة العنبري . قال ذلك أبو عبيدة في النقائض : ٣٠٥ ، وابن عبد ربه في العقد : ٥ / ١٨٢ ، وابن الأثير في الكامل : ١ / ٦٢٨ ، والبغدادي نفسه في الخزانة : ٣ / ٨٤ (٦ / ٣٧٥ هارون) .

فهذان اثنان كما ترى ، غير شك : ناشب بن معاذ المازني (أبو سعد) وناشب بن بشامة العنبري ، وعلى أن كليهما من تميم .

وقد كان هذا هو فصل القضية عند من ذكر النسبتين[٤٠] في ترجمة سعد ، ولاسيما عند من وقف على طرف من نسبه : أن أبا « ناشب » في أحد النسبين ، غيره في النسب الآخر[٤١] .

● وأما وهم مثل البغدادي ، أو تركه التنبيه على مافي كلام ابن قتيبة من الوهم ، فلأنه حكى أن بلال بن أبي بردة هدم دار سعد بالبصرة وحرقها ، وقد رأيت أن بلالاً كان على البصرة في السنوات

---

(٣٩) تابعت في قولي : « صاحب يوم الوقيط » لفظ ابن قتيبة : « وله يوم الوقيط » .

(٤٠) كالبكري في « اللآلئ » والبغدادي في « الخزانة » ، كما رأيت فيما سلف .

(٤١) هو معاذ بن جعدة المازني في أحد النسبين ، وهو بشامة العنبري في النسب الاخر .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

(١١٠ هـ - ١٢٠ هـ) ، مع قوله في الخزانة : ٣ / ٨٤ (٦ / ٣٧٥ هارون) أن يوم الوقيط كان في فتنة عثمان بن عفان (٣٥ هـ) ، فهذه ثمانون عاماً أو لواذها ، بين عصر بشامة العنبري وبين عصر سعد ، يبعد معها أن يكون أباه ، لاسيما مع مايغلب على النفس من أن سعداً كان شاباً على عهد بلال .

٣ - ومثل ماتقدم من كلام ابن قتيبة في الذهاب عن الوجه إلى الحد الذي لايمكن أن يحمل إلا على الذهول الذي لايَعْرَى منه من المصنفين أحد = قول المرزوقي : ٦٦٧ ، في شرح بيت سعد :

لاتوعدنا يابلال فإننا وإن نحن لم نشقق عصا الدين أحرار

« يخاطب بهذا الكلام بلالاً الخارجي ، ويعيره خروجه من طاعة السلطان ، وشقه عصا الإسلام ، فيقول : اترك توعدنا ، فإنا وإن لم نفرق الجماعة تفريقك ، ولم نخالف المسلمين مخالفتك ، فإنا فينا كرماً وإباء يحمينا من الانهضام ، ويحرم علينا الصبر على المذلة والعار ، فلا طريق لك إلى تملكنا والتحكم فينا » .

قلت :

هذا في توجيه الشعر من أغرب شيء : بعداً عن نسق الشعر ومعناه ، ومايقضي به ظاهر لفظه ، وذهولاً عما ينبغي في تأويل الموضع على قربه .

وذلك أن ألفاظ البيت ظاهرة الدلالة جداً في أنه إنما يخاطب رجلاً ذا سلطان ، وإلا فما تصنع بقوله :

وإنّ لنا إمّا خَشِيناكَ مذهباً إلى حيثُ لانخشاكَ والدهرُ أطوارُ

فلا تحمِلَنّا بَعْدَ سَمْعٍ وطاعةٍ على غايةٍ فيها الشقاقُ أو العارُ

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وكيف يخاطب بهذا « خارجي » هو نفسه خالعٌ « السمع والطاعة » ، ومفضٍ إلى غاية كالتي يدافعها سعد : « فيها الشقاق أو العار » ؟

وأين هذا إن كان إنما يخاطب « سوقة » لا « ملكاً ذا سلطان » من قوله في بيتيه :

أتيمَ اللاتِ مابالُ الوحيدِ ... يُقَعْقِعُ لي التهددَ منْ بعيدِ

ويُوْعِدُ مازناً بكُمُ وأنتمْ ... محلُّ الذلِّ واللؤمِ التليد

مع جراءته وإقدامه وشدة نفسه ، وركوبه أكناف المخاوف ، وخوضه إلى الموت الكرائب ؟

هذا سياق الشعر ، وماتقضي به ألفاظه في توجيه معناه ؛ وأما التاريخ فلأن « بلالاً الخارجي » إنما هو « أبو بلال »[٤٢] ، واسمه مرداس بن عمرو بن حُدَيْر[٤٣] الذي يقال له مرداس بن أُدَيَّة[٤٤] ، هذه واحدة

وأيضاً ، فإن أبا بلال هذا قتل سنة إحدى وستين[٤٥] (٦١) ، وهذا بعيد من أيام سعد ، حتى لو كان في سلطان الحجاج ، لاعلى عهد

---

(٤٢) لهم في الخوارج من اسمه « بلال » لا « أبو بلال » ، إلا أن هذا متأخر جداً ، كان في خلافة المأمون ، وقتل سنة (٢١٤) ، وكان يقال له : بلال الشاري ، وهو من الضباب ، من بني عامر . والشراة : الخوارج .

(٤٣) هذا اسمه في الطبري : ٥ / ٤٧٠ . قال : وهو من ربيعة بن حنظلة . قلت : وانظر الحاشية التي بعد هذه .

(٤٤) قال المبرد في الكامل : ٣ / ١٦٧ ـ ١٦٨ (١٠٨٣ الرسالة) : « ... وهو مرداس بن أُدَيَّة ، وهي جدته ، وأبوه حُدَيْر ، وهوأحد بني ربيعة بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم » ، وقال حين ذكر أخاه عروة : ٣ / ١٧٩ (١٠٩٧ الرسالة) : « وأُدَيَّةُ جدة له في الجاهلية ، وهو عروة بن حُدَير ، أحد بني ربيعة بن حنظلة » .

(٤٥) الطبري : ٥ / ٤٧٠ ، ابن الأثير : ٤ / ٩٤ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

بلال بن أبي بردة حين كان أميراً على البصرة .

وكأن التبريزي في شرحه على الحماسة - على استراحته إلى النقل عن المرزوقي - أنكر هذا من قوله ، فأعرض عنه وترك أن ينقله ، مع حاجته إلى مثله ، ومع افتقار الموضع - لو صح - إليه(٤٦) .

والذي لاشبهة فيه عندي ، أن « بلالاً » المخاطب في شعر سعد إنما هو بلال بن أبي بردة ليس غير ، وهو الأمير ذو السلطان ، المرهوب جانبه ، المأخوذ على الناس أن يسمعوا ويطيعوا له .

٤ - تقدم في الكلام على بائية سعد نقل البغدادي عن شراح الحماسة ، وكلام العيني في المقاصد النحوية : أنه يقال إن الحجاج هو الذي هدم دار بلال بالبصرة وحَرَّقَها لابلال .

قلت : أصح مافي إضافة خبر سعد إلى أنه كان على عهد الحجاج ، أنه قد جاء بصيغتي التمريض : « قيل » في نص البغدادي ، و « يقال » في نص العيني ، وإلا فإن القول به وهم ممن قاله ، فيما أرجو ، ولايزيد(٤٧) .

ومن الحجة في ذلك ماتقدم مثله في الكلام على نسب سعد : تواتر القول به عند الشراح وأصحاب الأخبار ، ودلالة الشعر عليه .

أما التواتر فقد وقفت على صدر من أقوال من ذكر بلالاً في خبر أبيات سعد ، ورأيت أن إضافة الخبر إلى بلال هو المقدم عند من ذكر القولين : إضافته إلى بلال ، وإضافته إلى الحجاج .

وأما الاستدلال فللذي انتهينا إليه آنفاً من أن المخاطب في شعر سعد إنما

---

(٤٦) من أجل أن معرفة المُسَمَّيْنَ في الشعر من تمام المعرفة بالشعر نفسه ، على وجهه .

(٤٧) أضيف إلى عصر الحجاج خبر آخر مشهور ، داخل فيما ندير الكلام عليه من ضروب التوهم ، لعله يستقل به مقام آخر .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

هو بلال بن أبي بردة ، أميراً ذا سلطان ، يتهيأ له بسلطانه أن يتهدد ويتوعد ، ثم لايكون لمن يلقي إليه بوعيده إلا أن يسمع ويطيع .

وأنت من مجموع هذين : تواتر النقل ودلالة الشعر ، على يقين تام ، من أن بلالاً هو الذي أظلت سعداً ولايته ، وكان منه إليه ماكان .

وهذا أظهر من أن نسهب فيه ، وفي الذي ذكرناه كفاية .

٥ ـ وقد تقدم أنه لاتمكن الطمأنينة إلى أن بيت دعلج بن الحكم في « سعد بن ناشب » لافي « كعب بن ناشب » كما جاء في الحيوان ، فإن بطل احتمال القول أنه في سعد ، فهذا إذن وهم آخر من ابن قتيبة ، يضاف إلى ماتقدم .

٦ ـ ومثله أن يكون مافي مطبوع الشعراء[٤٨] من قوله : « أو في كعب بن ناشب » مزيداً على أصل الكتاب .

٧ ـ وفي النفس شيء من بيتي حماسة ابن الشجري :

أتيمَ اللاتِ مابالُ الوحيدِ ... يُقَعْقِعُ لي التَّهَدُّدَ مِنْ بعيدِ

ويوعدُ مازناً بكُمُ وأنتمْ ... محلُّ الذلِّ واللؤمِ التليدِ

وذلك أن المرء ربما جنح إلى أن « الوحيد » هنا قبيل من الناس[٤٩] **لارجل بعينه ، وأن صواب إنشاد البيتين على هذا :**

أتَيْمَ اللاتِ مابالُ الوحيدِ ... تُقَعْقِعُ لي التَّهَدُّدَ من بعيدِ

وتُوعِدُ مازناً بكُمُ وأنتمْ ... محلُّ الذلِّ واللؤمِ التليدِ

وقد كان الفصل في هذا أقرب وأيسر مما يبدو لأول وهلة ، لولا شُبَهٌ تَرِدُ على الموضع ، يحوج دفعها إلى فضل تتبع واستقصاء ، وإلى قدر من

---

(٤٨) في طبعة « دار المعارف » خاصة . وانظر الحاشية : ١٤ .

(٤٩) هم بنو الوحيد بن كعب بن عامر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة . جمهرة النسب : ٣٢٧ (واسم الوحيد عند ابن الكلبي : عامر) ، جمهرة أنساب العرب : ٢٨٢ . الاشتقاق : ٢٩٦ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

المعرفة لم تسعف مصادري المتاحة[٥٠] في تحصيله والانتفاع به ، وهذا بالقياس إلى الباحث مشكلة على حدة ، كما تقدمت الإشارة إليه في صدر هذه الكلمة .

وبعد

فقد كانت بقيت أشياء هي من تمام ماأردته من تخليص أمر سعد ، فيها لقائل مقال ، ليس في تركها من العذر إلا أنه لاعذر له ؛ فإن قلت إني قد أدركني فيها الكلال لم تبعد ؛ وللكلام تارات ؛ وإنما عمل المرء حظ مقسوم له ، لايعدوه ولو أراد ؛ وإنما لك مما سقته إليك ماصفا ، وعلي من دونك تبعة ماشابه وخالطه من كدر .

كشاف المصادر

الاشتقاق : ابن دريد ـ عبد السلام محمد هارون . الخانجي (١٣٧٨ ـ ١٩٥٨) .

الأمالي : أبو علي القالي ـ محمد عبد الجواد الأصمعي . دار الكتب المصرية .

بهجة المجالس : ابن عبد البر ـ محمد مرسي الخولي . الدار المصرية للتأليف والترجمة .

تاريخ الرسل والملوك : الطبري ـ محمد أبو الفضل إبراهيم . دار المعارف (١٣٨٧ ـ ١٩٦٧) .

التذكرة السعدية : العبيدي ـ عبد الله الجبوري . النجف (١٣٩١ ـ ١٩٧٢) .

جمع الجواهر : الحصري ـ علي محمد البجاوي . دار إحياء الكتب العربية (١٣٧٢ ـ ١٩٥٣) .

(٥٠) أو جهدي في الانتفاع بما فيها .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

جمهرة أنساب العرب : ابن حزم ـ عبد السلام محمد هارون . دار المعارف (١٣٨٢ ـ ١٩٦٢) .

جمهرة النسب : ابن الكلبي ـ الدكتور ناجي حسن . عالم الكتب ـ مكتبة النهضة العربية (١٤٠٧ ـ ١٩٨٧) .

الحماسة = ديوان الحماسة = شرح ديوان الحماسة .

الحماسة : أبو تمام الطائي ـ الدكتور عبد الله بن عبد الرحيم عسيلان . جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية . ١٤٠١ ـ ١٩٨١ .

الحماسة البصرية : علي بن أبي الفرج بن الحسن البصري ـ الدكتور مختار الدين أحمد . حيدر آباد ـ الهند (١٣٨٣ ـ ١٩٦٤) .

الحماسة الشجرية : ابن الشجري ـ عبد المعين الملوحي وأسماء الحمصي . وزارة الثقافة ـ دمشق (١٩٧٠) .

الحيوان : الجاحظ ـ عبد السلام محمد هارون . الطبعة الثالثة . دار إحياء التراث العربي ـ بيروت (١٣٨٨ ـ ١٩٦٩) .

خزانة الأدب : عبد القادر البغدادي . طبعتا بولاق وهارون .

دلائل الإعجاز : عبد القاهر الجرجاني ـ محمود محمد شاكر . الخانجي (١٤٠٤ ـ ١٩٨٤) .

ديوان المعاني : أبو هلال العسكري ـ حسام الدين القدسي . القاهرة (١٣٥٢ هـ) .

الذخيرة في علم الطب : ثابت بن قرة ـ الدكتور ج . صبحي . المطبعة الأميرية بالقاهرة (١٩٢٨) .

زهر الآداب : الحصري ـ علي محمد البجاوي . دار إحياء الكتب العربية (١٣٧٢ ـ ١٩٥٣) .

شرح ديوان الحماسة : المرزوقي ـ عبد السلام محمد هارون . لجنة التأليف

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

(١٣٨٧ ـ ١٩٦٧) .
شرح ديوان الحماسة : التبريزي ـ محمد قاسم . بولاق (١٢٩٦ هـ) .
الشعر والشعراء : ابن قتيبة ـ القسطنطينية (١٢٨٢ هـ) .
الشعر والشعراء : ابن قتيبة ـ دي غوية . ليدن (١٩٠٢) .
الشعر والشعراء : ابن قتيبة ـ أحمد محمد شاكر . دار المعارف (١٩٦٦) .
العقد الفريد : ابن عبد ربه ـ أحمد أمين ، أحمد الزين ، إبراهيم الإبياري . لجنة التأليف والنشر والترجمة (١٣٨٤ ـ ١٣٨٨ ، ١٩٦٥ ـ ١٩٦٨) .
عيون الأخبار : ابن قتيبة ـ أحمد زكي العدوي . دار الكتب المصرية (١٣٤٣ ـ ١٣٤٩ ، ١٩٢٦ ـ ١٩٣٠) .
العيون الغامزة : الدماميني ـ الحساني حسن عبد الله . القاهرة (١٩٧٣) .
فصل المقال : أبو عبيد البكري ـ الدكتور إحسان عباس والدكتور عبد المجيد عابدين . ط ٣ . مؤسسة الرسالة (١٤٠٣ ـ ١٩٨٣) .
القانون في الطب : ابن سينا ـ إبراهيم عبد الغفار الدسوقي . بولاق (١٢٥٤ هـ) .
قانون الأطباء وناموس الألباء : مدين بن عبد الرحمن القوصوني المصري . مصورات مجمع اللغة العربية بدمشق (١٣٩٩ ـ ١٩٧٩) .
الكامل : المبرد ـ محمد أبو الفضل إبراهيم والسيد شحاته . مكتبة نهضة مصر (١٣٧٦ ـ ١٩٥٦) .
الكامل : المبرد ـ محمد أحمد الدالي . مؤسسة الرسالة .
الكامل في التاريخ : ابن الأثير . صادر ـ بيروت (١٣٩٩ ـ ١٩٧٩) .
المختار من شعر بشار : أبو الطاهر التجيبي ـ محمد بدر الدين العلوي . لجنة التأليف والترجمة والنشر (١٣٥٣ ـ ١٩٣٤) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

المقاصد النحوية : بدر الدين العيني ـ محمد قاسم . بهامش خزانة الأدب ، بولاق (١٢٩٩ هـ) .
نظام الغريب : عيسى بن إبراهيم الربعي ـ الدكتور بولس برونله . مطبعة هندية . بلا تاريخ .
النقائض : أبو عبيدة ـ بيغان . ليدن (١٩٠٥) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net